رسالة شكوى سي سليمان بن حمزة إلى حاكم البيض الضابط بيرلن Burin.

أ. حباش فاطمة [1]*

عندما استعان الفرنسيون رسميا منذ عهد الجنرال **بيجو** بالزعامات الأهلية ، وحاولوا تدجينها في إطار نظام الإدارة العربية والمعروف " بنظام المكاتب العربية"[1]، ليس لأنهم اقتنعوا وتمكنوا من القضاء على حسها النضالي بعد القضاء على المقاومة العسكرية بقيادة الأمير عبد القادر وأنهم ضمنوا ولاءها وطاعتها بالامتيازات والسلطة المطلقة، ولم تعد تشكل معارضتها خطرا، وإنما اللجوء إليها كان ضرورة مع اتخاذ مبدأ الحذر منها وجعلها تحت المراقبة الدائمة من منطلق أن سمعتها ومكانتها بكل الأنواع قد تأتي بالمنفعة والمصلحة الاستعمارية[2]، وهذا ما حدث أو تم تطبيقه ابتداء من 1844 مع جنرال **بيجو** وبدرجة أكبر مع الحاكم العام **راندون،Randon**[3] الذي حاول التوغل في الصحراء متبعا سياسة التعامل مع الأرستوقراطية النافذة هناك في تذليل الصعوبات والعراقيل. فالمد والتوسع الاستعماري لم يرتكز فقط على الحملات العسكرية، بل تعدى ذلك لتتولاه الحملات الجغرافية والاستكشافية، التي كان دليلها بالطبع الزعامات المحلية ومنهم خليفة أولاد سيدي الشيخ بقصور الجنوب الغربي، والذي ساعد وأعان الجغرافيين

---

* _ أستاذة مساعدة. كلية العلوم الانسانية والاجتماعية _ جامعة تيارت_

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

بالصحراء منها: رحلة **دريو** سنة 1853،[4] ورحلة **كلونيو** إلى ورقلة سنة 1862 [5]. كما حقق الفرنسيون ضم عدة مناطق وقبائل بعيدة المنال جغرافيا بفضل الوساطة الأهلية وتحديدا مع حمزة بن بوبكر، الذي كان له الفضل في دخول الفرنسيين في تفاوض مع زعماء التوارق وعقد إتفاق تعاون[6]. لكن يبقى الشيء الأهم الذي حققه الفرنسيون هو "**السلم والأمن**" مع القبائل شمالا وجنوبا وبالطبع بفضل هذه **الزعامات** أولا، و**نظام المكاتب العربية** ثانيا إلى غاية 1857[7]. فمع الهدوء لم يعد دور هذه الزعامات مهما وأصبح من الضروري إلغاء هذه الوساطة بصفة تدريجية، وبطرق مختلفة تصب كلها في الغاية الرئسية " **وجوب التخلص منها وإقصائها** "، مستعملين أساليب في فترات مختلفة حتى لا يحدث لهم ذلك البلبلة والثورات. وهذه العملية الإقصائية لم تسلم منها زعامات قبلية أولاد سيدي الشيخ. حيث بدأت تتعرض للتجاهل وتجاوز صلاحياتها في تسيير أمور السكان، واتخاذ قرارات وتطبيقها مباشرة دون العودة إليها بالاستشارة والإعلام. وكنموذج عن هذه المضايقات الرسالة التي بين أيدينا والتي تضمنت تظلم صادر عن سي سليمان بن حمزة بن بوبكر الصغير سنة 1862 موجه إلى الحاكم دائرة جيرفيل الضابط بيران Burin[8].

التعريف بصاحب الرسالة.

ينحدر سي سليمان بن حمزة بن بوبكر الصغير من عائلة دينية، سياسية عريقة اتصلت جذورها بسلالة أبو بكر الصديق. هاجر أجداده من الحجاز قاصدين الغرب فنزلوا أولا بمصر واستقروا تحديدا بالإسكندرية[9]، ثم شدوا الرحال

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

إلى تونس، أين عرفوا هناك بالبو بكريين وحضوا بمكانة أهلتهم لتولي مناصب حكومية عليا[10]. تواصل نفوذ العائلة مع الجد سيدي معمر بن العالية الذي رحل بها من تونس إلى الجزائر في حدود القرن 15، واستقر ببلاد بني عامر، وأسس قصورا منها: الأربوات الفوقاني والتحتاني، وحضي هناك باحترام كبير بين البربر والعرب لكونة رجل دين وعلم[11]. استمر النفوذ الديني للعائلة مع الجد السادس وعشرين عبد القادر بوسماحة مؤسس الطريقة الشيخية[12]. والذي استقر بواحة تانكريت أين قام بدور حضاري ديني وسياسي بجمعه بين قوة التصوف والتعبد وقوة السيف بالصحراء والمغرب الأقصى، حضي باحترام كبير لدى سلاطين المغرب كما شارك العثمانيين في حملاتهم ضد الكفار.

بقيت العائلة محافظة على مجدها الديني واستقلالها الداخلي حتى العهد الاحتلال الفرنسي بزعامة حمزة بن بوبكر[13] والد سليمان، والذي تولى السلطة بعد وفاة والده أبو بكر الصغير سنة 1834.

يأتي سي سليمان بين أبناء حمزة في الترتيب الثاني بعد ابنه البكر بوبكر، يليه كل من محمد وأحمد وقدور والدين وبوحفص[14]. من مواليد 1848، خلف أخاه المتوفى سنة 1862 على رأس خليفات أولاد سيدي الشيخ وعمره لا يتجاوز 22 سنة[15] لكن برتبة باشا أغة عوضا عن لقب الخليفة إلى غاية 1864، أين أعلن تخليه عن وظيفته ومغادرة مقر إقامته بجيرفيل[16]، فقد أرسل رسالة بيران بعد عودته من بريزينة يعلن فيها انفصاله عن السلطة الفرنسية. اصطحب معه إخوته كل من أحمد ومحمد وعمه الزبير إضافة إلى كل الزوة والأتباع وعسكر بهم قرب

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

واحة بريزينة[17]. شرع في التحضير للثورة، فدشن العمل بعقد اجتماع ضم الأتباع، اتفق فيه على ضرورة محاربة أعداء الدين تحت شعار الجهاد المقدس، وتشكيل مجلس حرب يضم عشر أعضاء منهم سي الأعلى وكاتبه الفضيل، كما تم تحرير رسالة موجهة إلى كل القبائل والأتباع تدعوهم إلى حمل السلاح وإعلان الجهاد في سبيل الله[18].

أعلن الثورة بالهجوم الذي استهدف به معسكر القائد الأعلى لتيارت ـ الذي جاء على رأس قوة معتبرة لإخماد هذا التحرك ـ الضابط بوبريتر وقتله، لكن لقي حتفة في نفس المواجهة أي بمعركة عوينة بوبكر يوم 8 أريل 1864. خلفه على قيادة الثورة أخوه محمد[19].

نص الرسالة:

" الحمد الله وحده ولا إله غيره تعالى والصلاة والسلام على النبي....

سي سليمان بن حمزة بن بوبكر الباشا أغة 1862.

إلى الحاكم الأرفع عوض الأب الأنفع حاكم البيض وساير عمالته الكماندار بران المتولي أمور العربان في كل مكان السلام عليك وعلى كلية أحوالك أما بعد السأل (السؤال) عنك وعن ما يعلم بيك تراني دخلني الشك في نفسي من التخبريج عامة العرب وانت ليس عاقبت واحد من العرب على التخبريج باش تتنها الناس على الكلام الساقط واليوم أنا ليس اتاني ظيم من جانبك باش نفعل هاذا الفعل القبيح ليس هو فعل العمارة وثانيا يا حاكم البلاد ما دمت في البيض ليس يدخلني أمر ينقصني وحين يرفعك رب العزة من نحيته حكمنا يدبر

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

علينا الله والضامن قبل لا تأمرنا بالرحلة إلى نحية البنود والكلام نسمع فيه من العرب وحين بلغ مكتوبك إلينا وفيه الرحلة إلى البنود ثبتوا علينا العرب هاذا القول ولابد منك ترد لنا الجواب بالقول الثابت وفي الحين مع حامله اليك خديمنا منصور والسلام وكتب عن إذن البركة باش أغة السيد سليمان بن حمزة أمنه الله أمين. أمين. أمين. "

وصف محتوى الرسالة:

ـ الوثيقة عبارة عن رسالة مخطوطة باليد، توجد بأرشيف مركز ماوراء البحار، أكس بروفنس، مصنفة ضمن السلسلة الرئيسية "J" الخاصة بالمكاتب العربية للقطاع الوهراني. تتفرع عنها عدة سلاسل فرعية حسب التنظيم الإداري الرسمي للإدارة العربية، فمنها سلسلة المقاطعة، ثم سلاسل القسمات بعدها سلاسل الدوائر الإدارية[20]. أما بالنسبة للرسالة التي لدينا فهي تنتمي إلى سلسلة "قسمة معسكر" المرتبة في شكل محاور، كل محور يحمل رقما خاصا به. فهناك محور المراسلات سواء العامة لمختلف القضايا أو المتعلقة بالشؤون العسكرية أو مراسلات القسمة مع الدوائر التابعة لها كل من سعيدة وتيارت والبيض، إضافة إلى محور خاص فقط بالقرارات والأوامر والتعليمات التي تخص القسمة وملحقاتها. بينما المحور الثالث فخص لموظفي وقادة القسمة وكذا مسألة القضاء والشرطة. كما تضم محورا للإدارة والمحاسبة يعنى بقضايا الاستيطان والانجازات الاستيطانية على مستوى الدوائر. أما المحور الذي تنتمي إليه الرسالة فهو محور الاحصائيات والمعلومات يرصد كل المعلومات والتحركات على مستوى القسمة، وردت فيه

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

الرسالة ضمن عنصر أحداث ثورة 1864 تحت رقم 20J/42. يشمل كل المراسلات الصادرة أولا عن الزعامات المحلية إلى السلطة الرسمية وهي بالعربية، وثانيا المراسلات الفرنسية الصادرة عن مختلف الهيئات على مستوى القسمة أو الدوائر الثلاث حول تحركات أولاد سيدي الشيخ وتحضيراتهم للعمل الثوري والترتيبات المتخذة ضدهم. وجاءت أغلبها تحت عنوان رئيسي " Au Sujet défection de Si Sliman".[21]

ـ جاءت الرسالة في صفحة واحدة، معدل أسطرها قرابة أربعة عشرة سطرا، كتبت بمداد أسود بخط مغربي واضح وعادي بتاريخ نجهل فيه اليوم والشهر ماعدا السنة المؤرخة ب 1862. استعمل في مضمونها بعض الألفاظ والكلمات من اللهجة العامية مثل " التخبريج" و " ساير" و " با ش تتنها"، كما وظفت مصطلحات فرنسية متداولة في لسانهم اليومي منها الرتبة العسكرية " الكماندار".

ـ لابد من التنويه والاشارة أن كامل السلسلة " J" بما فيها الرسالة، منظمة بأرشيف أكس في شكل ميكروفيلم، بحيث لا يمكن معاينة الوثائق الأصلية مباشرة نظرا لهشاشتها والخوف من أن تضيع قيمتها بالتداول المستمر.

ـ افتتحت الرسالة بتحية " الحمد الله وحده.....ولا إله غيره تعالى والصلاة والسلام على..." يتوسطها ختم دائري منقوش عليه إسم سي سليمان بن حمزة الباش أغة 1862. وبالطبع هذا الختم يدل على أن هذا الأخير يملك منصبا ضمن الادارة الأهلية برتبة الباشاغا، وهي رتبة أقل قيمة احدثت لضرب رتبة الخليفة التي تعود عليها زعماء أولاد سيدي الشيخ.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

ـ انطلاقا من المضمون نجد أن سي سليمان وجه رسالته التي هي عبارة عن شكوى إلى مسؤوله المباشر الضابط بيران "إلى الحاكم...حاكم البيض....الكماندار بران"، وهذا إن دل فإنما يدل أن المضايقات التي بدأ يشعر بها هذا الأخير هي من تدبير الضابط بيران، والأمر هنا طبيعي باعتباره ممثل السلطة الاستعمارية بالبيض، والتي بدأت تسعى منذ أواخر الخمسينات ومطلع الستينات إلى تبني سياسة الاقصاء في حق الزعامات التقليدية تدريجيا وبطرق مختلفة منها إثارة الاشاعات كما حدث مع سي سليمان وتشويه سمعته واتهامه بالفساد الأخلاقي[22].

ـ ختم الرسالة بطلب يريد ردا سريعا رفقة حامل رسالته، يشمل تفسيرا عن هذه التصرفات المسيئة لشخصه ومكانته السياسية والدينية.

ـ الظاهر من خلال الكلام الذي ختمت به الرسالة " عن إذن البركة باش أغة السيد سليمان بن حمزة " أنها لم تكتب بخط سليمان وإنما من طرف كاتبه.

تحليل وثيقة:

إذا كان سي سليمان لم يحدد في رسالته بشكل دقيق نوع الاتهامات والمضايقات جامعا إياها في مصطلح " الكلام الساقط والفعل القبيح" فإنه يمكن توضيحها وتحديدها انطلاقا من مصادر أخرى وحصرها في مجموعة تصرفات تكررت أولا ضد عائلته وثانيا ضد شخصه:

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

1ـ تعويض لقب الخليفة المتوارث بلقب الباشاغا الأقل قيمة بعد وفاة والده سي حمزة سنة 1861. [24]

2ـ التجاهل الدائم للزعماء وعدم استشارتهم في أمور القبائل بالرغم من أنهم الوسيط المباشر الذي تمرر من خلاله فرنسا أوامرها، وحدث شخصيا لسي سليمان عندما لم يعلم بتعيين عمه سي الأعلى خلفا لعمه سي الزبير على أغوية ورقلة سنة 1862 .[25]

3ـ اتهامات بالتجاوزات المالية والتعسف الضريبي على إثر شكاوي القبائل خاصة بورقلة ضد زعماء أولاد سيدي الشيخ كل من حمزة وسي الأعلى وحتى سي سليمان.[26]

4ـ محاولة الحط من قيمته السياسية عن طريق إهانة مستشاريه وموظفيه منهم سي الفضيل الذي وصف بالعنصر الخطير، الخائن ووجوب تصفيته. ولم يتوقف الأمر عند هذا الاتهام بل تعرض للضرب على يد جنود الصبايحية والاهانة بعدها حيث اقتيد إلى سجن المكتب العربي[27]. الأمر الذي لم يستصغه سي سليمان واعتبره إهانة لشخصه مباشرة وهدد بالانتقام.

يمكن القول أن سي سليمان هو الزعيم الوحيد الذي اتخذ موقفا وقرر التخلي عن مهامه لصالح السلطة الاستعمارية بعدما أصبحت لديه قناعات مطلقة حول نوايا فرنسا الحقيقية تجاه عائلته، فالمضايقات لم تبدأ معه وإنما وجدت منذ عهد والده حمزة الذي قدم خدمات عديدة للفرنسيين بدء بإعانة قادة الحملات العسكرية والجغرافية، وكذا تسهيل مهمة الاتصال مع التوارق، لكن رغم

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

ذلك وردت حوله الشكوك واستدعي إلى وهران تحت الاقامة الجبرية ثم بالعاصمة أين وافته المنية في ظروف غامضة.[28]

في الختام نصل إلى أنه بقدر ما استفادت فرنسا بتقربها واستعانتها بالعائلات في مد التوسع وتثبيت الاستعمار، إلا أن سياسة التخلص والاقصاء أوجد ضدها موقفا خطيرا، أصبح يهددها، وتمثل ذلك في التحرك الثوري الذي قادته تلك الزعامات المقصات، ليصبح بذلك مشروع استمرار المقاومة والنضال ضد الاستعمار على يد زعامات تمتعت بنفوذها السياسي والديني.

الهوامش:

1ـ يعود تأسيس نظام المكاتب العربي إلى قرار 1/ 2/ 1844 على عهد الحاكم العام الجنرال بيجو لتكون واسطة بين الادارة الفرنسية والجزائريين، يرأسها ضابط فرنسي يساعده مجموعة من الموظفين، من مترجم ومحاسب وطبيب وكاتب وقاضي، إضافة إلى موظفيين جزائريين من الزعامات الجزائرية تحمل ألقاب كالخليفة والأغا والقايد والشيخ. دورها هو تفتيت القبيلو وإقصاء نفوذها الديني والسياسي . ينظر:

Thullier. Les Bureaux Arabes. Courier de l'Algérie. 9éme Année N185. 8/2/1869.

2_ شارل أندري جوليان. **برنيان أندري وآخرون**. الجزائر بين الماضي والحاضر. تر اسطنبولي رابح ومنصف عاشور. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. 1984. ص. 392.

3ـ ولد راندون ب قرونبل Grenobleفي 24/ 3/ 1795، قاد حملات كثيرة ضد القبائل الثائرة في كل من القبائل والأغواط...إلخ، عين حاكما عاما بالجزائر سنة 1852. ينظر: _ Narcisse. Livre d'Or de l'Algérie (1830- 1889). T1. Challamel et C^{ie} éditeur. Paris. 1889. P . 547.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

أما الجنرال بيجو هو توماس روبار بيجو دولا بيكونري Thomas Robert Bugeaud de la piconnerie. ينحدر من أسرة إيرلندية ، درس التاريخ والجغرافيا وحفظ الكثير من الشعر. في سنة 1804 انضم إلى الجيش في صفوف الحرس الامبراطوري. بدأت مغامرة بيجو العسكرية في الجزائر مع سنة 1836 عندما تواجه مع الأمير عبد القادر قرب التافنة وعقد معه معاهدة النافنة سنة 1836. بعدما كان عسكريا في الجيش يقود الحملات رقي ليعين حاكما عاما على الجزائر سنة 1841، ولأجل تحقيق الاحتلال الشامل والاستيطا قرر تطبيق سياسة مدنية وعسكرية ضد المقاومة استهدف بها كل القبائل التي تزعمت المقاومة أو ساندتها . ينظر:

_ C.A.O.M. GGA. 12X124. Bugeaud .

4_ C.A.O.M. 10H/73. Armée d'Afrique. DO. Subd M. Expedition du Sud. Itineraire suivi par la colonne expeditionnaire du Sud sous les ordres de le colonel Durrieu parti de Mascara le 25/3/1853.

5_ Colonieu. Op. Cit. pp. 163_ 168.

6_ C.A.O.M.1J/155. GGA. DO. Rapport de Colomb. Negoussa 2/12/1855.

_Ibid. Metlili. 16/12/1855.

_ A.Fock. Algérie ; Tchad. Augustin challamel. Paris. 1891. PP. 3_4.

7ـ والدليل التقرير المرسل إلى الحاكم العام في 1856 الذي يشير إلى قناعة القبائل والعشائر عموما عدم جدوى متابعة المقاومة الفاشلة ووجوب الإهتمام بأمور حياتها وتنظيمها ينظر:

_ C.A.O.M. 1J/155. L'Armée d'Afrique. DO.Sub Mascara. Au Sujet de Si Hamza 14/7/1858.

8ـ ولد بيران في 25/ 9/ 1823 ب كلارمو فرناند Clermont – Fernand تطوع في فرقة خط 52 سنة 1841، التحق بمصلحة الادارة الأهلية في 10/ 12/ 1853 كعون متدرب بدائرة زمورة ثم رقي عون درجة ثانية بنمور ثم درجة أولى سنة 1855 بسيدي بلعباس، ليعين بعدها رئيس مكتب البيض. ينظر

_ Peyronnet (R). Livre d'Or des officiers des affaires indigènes (1830-1930). T1. T2. Imprimerie Algérienne. Alger.1930.P. 449.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

9_ Depont Octave et Xavier Coppolani. Les confréries religieuses musulmans. Adolph Jourdan. Alger. 1897.P. 439.

10_ De la Martinière (H-M.P), (N) la Croix. Documents pour servir à l'étude de Nord-Ouest africain. Gouvernement général de l'Algérie. P. 759.

11_ Rinn Louis. Marabouts et Khouans. Adolph Jourdan. Alger. 1884.P. 351.

12_ اختلف المؤرخون حول تاريخ ميلاد سيدي الشيخ فترومللي يقول أنه ولد في 1350 وفي كتاب أعيان المغاربة في 1544 أما قارو فقد اتفق مع الثاني. أمه تدعى السيدة الشريفة بنت سيدي علي ولد سعيد، تتلمذ على يد والده ثم توجه إلى فقيق لإستكمال علمه على يد أحمد بن عيسى الكرزازي ثم تعلم على يد عبد الرحمات السهيلي الذي أصبح من أبتاع الشاذلية، كما رحل إلى فاس طلبا إلى العلم. وهو من أسس الطريقة الشيخية . ينظر:

- Trumelet. Les Français dans les désert. 2éme édition. ChallamelAiné. Paris. 1885. PP. 82 -83.

13_ هو الإبن البكر لسي بوبكر الصغير، من مواليد 1810 أمه تدعى الياقوت التي تنتمي إلى قبيلة المخادمة بورقلة، تولى الزعامة خلفا لوالده المتوفى سنة 1834 وعمره لايتجاوز 27 سنة. عين خليفة الجنوب الغربي سنة 1850، وبقي حتى وفاته 1861 حيث إمتد نفوذه سياسيا إلى ورقلة سنة 1854 ينظر: – فاطمة حباش.سي الأعلى بن بوبكر. المرجع السابق. ص ص. 13. 14.

14_ إخوتة بالترتيب : سي الزبير وتوفي في 23/ 7/ 1862، سي محمد من مواليد 1845 وتوفي 22/ 2/ 1865، سي أحمد من مواليد 1852 وتوفي في 1868 ، سي قدور ولد في سنة 1830 ، سي الدين من مواليد 1853، وأخيرا بوحفص من مواليد 1860. ينظر شجرة العائلة من كتاب :

_ Boubakeur Si Hamza. Un Soufi Algérien « Sidi cheikh ». Maisonneuve et lerose. Paris. 1990.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image

15_ – فاطمة حباش. سي الأعلى بن بوبكر " القائد العلى لثورة أولاد سيدي الشيخ" (1820-1896). مذكرة لنيل شهادة الماجستير تحت إشراف عبد المجيد بن نعمية. قسم التاريخ وعلم الآثار. جامعة وهران. 2005/200 . ص. 32.

16_ Trumlet. Histoire de l'insurrection dans le Sud de la province d'Alger en 1864.T1,2. Adolph Jourdan. 1884.PP. 6 ,6 ,7.

17_ C.A.O.M. 20J/42. Au sujet déf éctoin de de Si Sliman. 25/2/1864.

_ GGA. Tableau de la Situation des établissements Français dans l'Algérie.1864. P. 183.

18_ Boubakeur Si Hamza.O p. Cit . PP. 169. 170.

19_ Du Jonchay (Génerale). Insurrection des Ouled Sidi Cheik 1864. **B.S.G.O.** 1940. PP. 11 .12.

20_ رقمت سلسلة قسمة معسكر ب 20J، ودائرة البيض ب 23J ودائرة سعيدة ب 25J ، ودائرة تيارت ب 26J.

21_ C.A.O.M. 20J/42. Au sujet déf éctoin de de Si Sliman. 25/2/1864.

22_ Ibid .

23_Trumelet. Le Generale Yusuf. T2 . Paul Allendroff. Paris . 1890 . P. 291.

24_ فاطمة حباش. المرجع السابق. ص. 36.

25_ C.A.O.M. 1J/155. DO. Sub Mascara. Au Sujet de réclamation des gènes d'Ouargla. 20/6/1860.

26_ فاطمة حباش. المرجع السابق. ص ص. 38، 39.

27_ C.A.O.M. 1J/155. GGA. BP. . Au Sujet de Khalifa Si Hamza. Alger. 8 /9/ 1856.

Created using easyPDF Printer
Click here to purchase a license to remove this image